

الشعر الشعبي الجزائري المصطلح والمفهوم

Algerian Popular Poetry: Terminology and Concept

*- أ.د فاطمة الزهراء شلي

*- مخبر أبحاث في التراث الفكري والأدبي بالجزائر

*- جامعة الحاج لخضر باتنة 1.

fatimazohra.chelbi@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الإرسال: 2025/09/08

الملخص:

يشكل الشعر الشعبي أحد أبرز المظاهر الثقافية في المجتمع الجزائري، لما يحمله من وظائف اجتماعية وفنية تعبر عن وجدان الجماعة وتوثق تجاربها عبر الزمن، فهو نتاج تفاعل تلقائي بين الناس، يعبر عن حاجاتهم وقضاياهم، وينقل قيمهم وموروثهم من جيل إلى جيل. وقد ظل هذا الشعر حيًّا في الذاكرة الشعبية، يتناقله الرواة ويحفظه الناس شفويًّا، مما جعله وسيلة فعّالة للربط بين الماضي والحاضر، ولحفظ الهوية الثقافية. وقد أسهمت عوامل تاريخية وثقافية في بلورة هذا التراث، منها الهجرة الهلالية، والتأثير الأندلسي بفنون الموشح والزجل، والتلاقح مع الموروث الأمازيغي، ما أضفى عليه ثراءً لغويًّا وإيقاعيًّا مميزًا.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي، الشعر العامي، الشعر الملحون، التراث الجزائري.

Abstract:

Popular poetry represents one of the most significant cultural manifestations in Algerian society, as it fulfills both social and artistic functions by expressing the collective consciousness and recording communal experiences across generations. Emerging as a spontaneous product of social interaction, it reflects people's needs and concerns while transmitting their values and heritage over time. Preserved orally through narrators and collective memory, this poetic form has long served as an effective medium for bridging past and present and for safeguarding cultural identity. Various historical and cultural factors contributed to the consolidation of this heritage, including the Hilalian migration, the Andalusian legacy of muwashshah and zajal, and the interaction with Amazigh traditions, all of which endowed it with remarkable linguistic and rhythmic richness.

Keywords: Popular poetry, colloquial poetry, malhūn, Algerian heritage.

مدخل:

يعد الشعر الشعبي الجزائري واحدًا من أبرز المظاهر الثقافية التي تعكس الوجدان الجمعي وتوثق التجربة التاريخية والاجتماعية للشعب، فقد ظل عبر القرون وسيلة تعبيرية حيّة تستجيب لمختلف حاجات الجماعة، سواء في لحظات الفرح والاحتفال أو في مواقف المقاومة والمعاناة. وهو بذلك يُجسّد خصوصية الهوية الجزائرية في بعدها الثقافي والحضاري، لكونه نتاج تفاعل عميق بين الفصحى والعامي، وبين الموروث الأمازيغي والعربي، فضلاً عن التأثيرات الأندلسية التي أغنته بالزجل والموشحات، فصار تعبيرًا لغويًا وإيقاعيًا متفردًا داخل الفضاء المغاربي والعربي على حد سواء⁽¹⁾.

إنّ الحديث عن الشعر الشعبي لا ينفصل عن الإشكاليات الاصطلاحية التي رافقته، إذ تعدّدت تسمياته بين "الشعبي" و"العامي" و"الملحون"، وهو تنوّع يكشف عن تعدد الرؤى في النظر إليه. فمصطلح "الشعبي" يشير إلى انتمائه إلى عامة الناس ومخاطبته لهم بلغة قريبة من وجدانهم، بينما يحيل "العامي" إلى استعمال اللهجات المحلية غير المقيّدة بضوابط الفصحى، أما "الملحون" فيرتبط تارة بالغناء والتلحين وتارة بالخروج عن الإعراب. ومن ثمّ يظل تحديد المصطلح مسألة مركزية في دراسة هذا الشعر، لأن الاصطلاح ليس مجرد تسمية لغوية، بل هو مدخل منهجي لفهم طبيعة النصوص ومقاصدها الجمالية والاجتماعية⁽²⁾.

لقد ساهمت مجموعة من العوامل التاريخية في تشكيل هذا الموروث، فالهجرات الهلالية منذ القرن الخامس الهجري جلبت معها لهجات وأساليب تعبيرية أثّرت في البناء اللغوي للشعر الشعبي، بينما منحت التجربة الأندلسية في الموشحات والزجل بعدًا فنيًا وإيقاعيًا متميزًا، ثم جاء التلاقح مع الثقافة الأمازيغية ليضفي عليه تنوعًا لغويًا ورمزيًا يعكس التعدد الثقافي للمجتمع الجزائري⁽³⁾. وهكذا تشكّلت بنية الشعر الشعبي الجزائري كفضاء جامع لمختلف المكونات التي صنعت الهوية الجزائرية عبر التاريخ.

وتبرز أهمية البحث في هذا الموضوع من كونه محاولة للإجابة عن أسئلة محورية، من قبيل: ما طبيعة المصطلح الأنسب لوصف هذا النتاج الشعري؟ وكيف تطورت مفاهيم "الشعبي" و"العامي" و"الملحون" عبر الدراسات التراثية والحديثة؟ وما مدى تأثير العوامل

التاريخية والثقافية في صياغة بنيته الجمالية؟ ثم كيف أسهم الشعر الشعبي في التعبير عن قضايا المجتمع الجزائري، وفي حفظ الذاكرة الجماعية وتعزيز الانتماء الوطني؟ إن هذه المداخلات تسعى إلى معالجة هذه الإشكاليات عبر مقارنة مزدوجة؛ نظرية تنطلق من تحديد المفاهيم والجذور التاريخية والخصائص الفنية للشعر الشعبي، وتطبيقية تقوم على تحليل نماذج مختارة من النصوص الشعرية الجزائرية، بما يكشف عن التفاعل الخلاق بين الاصطلاح والمفهوم من جهة، وبين الإبداع والواقع الاجتماعي من جهة أخرى. والغاية من ذلك ليست فقط الوقوف عند حدود الوصف والتأريخ، بل كذلك إبراز القيمة الجمالية والرمزية للشعر الشعبي باعتباره مكوّنًا أصيلاً من مكوّنات التراث الثقافي الجزائري، ومرة صادقة لروح الشعب وذاكرته الحية⁽⁴⁾.

أولاً: الإطار المفاهيمي

يُعَدُّ تحديد المفاهيم خطوة أساسية في أي بحث أكاديمي، لأنّ الاصطلاح يوجّه المنهجية ويُحدّد زاوية النظر. والشعر الشعبي الجزائري، بحكم طبيعته المتداخلة بين الفصح والعامي، ظلّ مثار جدل بين الباحثين حول التسمية الأدق له. فقد تراوحت تسمياته بين "الشعبي"، و"العامي"، و"الملحون"، وهي مصطلحات متقاربة في الظاهر، لكنّها تختلف في الدلالة والمجال.

1. مفهوم الشعر الشعبي

يُطلق مصطلح "الشعر الشعبي" على كلّ ما نظمته عامة الناس من شعر خارج القيود الصارمة للفصحى، سواء من حيث الإعراب أو التراكيب أو البنية الإيقاعية. وهو تعريف يتسع ليشمل مختلف أشكال القول المنظوم المتداول بين أفراد المجتمع، ويعكس بصديّ وجدانهم وتجاربهم. ويميّز بعض النقاد بينه وبين الشعر الفصيح بالقول إنّ "الأول وليد اللحظة، نابع من التلقائية، بينما الثاني محكوم بضوابط العروض واللغة"⁽⁵⁾. ومن ثمّ فإنّ "الشعبي" ليس فقط توصيفاً لغوياً، بل هو كذلك توصيف اجتماعي وفني لأنه يمتاز بالشمولية، لأنّه مرتبط بالشعب الذي ينتجه ويتداوله. ومن هنا كان أكثر قدرة على استيعاب تعددية هذا التراث مقارنة بالمصطلحات الأخرى.

2. مفهوم الشعر العامي

أما مصطلح "الشعر العامي" فيُستعمل غالبًا في الدراسات المشرقية لوصف الشعر المنظوم باللهجات المحلية غير الملتزمة بالإعراب. ويُشير "العامي" هنا إلى مقابل "الفصحى". ويلاحظ بعض الباحثين أنّ وصف الشعر الشعبي بالعامي قد يضيق دلالته، لأنه يحصره في جانب لغوي فقط، متجاهلاً أبعاده الاجتماعية والجمالية⁽⁶⁾. كما أن كلمة "عامي" قد تحمل في بعض السياقات دلالة سلبية توجي بالابتذال أو الانحدار، وهو ما لا يليق بقيمة هذا التراث⁽⁷⁾.

3. مفهوم الشعر الملحون

مصطلح "الملحون" أكثر شيوعًا في المغرب العربي، وهو ذو دلالتين أساسيتين: الأولى ترتبط بالغناء والتلحين، حيث يُقصد به الشعر الموزون الذي يُغنى في الأعراس والمناسبات. والثانية ترتبط بالجانب اللغوي، أي "الخروج عن الإعراب" أو "اللحن"، وهو ما يجعل الكلمة مخالفة للقواعد الفصيحة. وقد جمع بعض الباحثين بين المعنيين، معتبرين أن "الملحون هو الشعر الشعبي الذي اتخذ سبيل الغناء أداة لنشره وتداوله"⁽⁸⁾. ومع ذلك، فإن استعمال مصطلح "الملحون" غالبًا ما يقتصر بالجانب الغنائي، ولا يشمل كل أشكال الشعر الشعبي الجزائري، خاصة تلك التي تلقى في سياقات غير غنائية، مثل الشعر الثوري والنقدي.

4. الفروق بين المصطلحات الثلاثة:

رغم التقارب، يمكن القول إنّ "الشعبي" أوسعها دلالة، لأنه يشمل النتاج الشعري المنتمي إلى وجدان الجماعة. أما "العامي" فهو توصيف لغوي محض يقتصر على اللهجة المحلية، في حين أنّ "الملحون" يُحيل إلى بعدٍ غنائي أو إلى الخروج عن قواعد النحو. ولهذا فإنّ استعمال مصطلح "الشعر الشعبي" يبدو الأوفق في الدراسات الأكاديمية الحديثة، لشموليته واتساعه⁽⁹⁾. لأنه يستوعب كل الأبعاد: اللغة، الإيقاع، الوظيفة، والتداول الشفوي.

5. الشعر الشعبي والأنواع المجاورة

من المهم كذلك التمييز بين الشعر الشعبي الجزائري وبعض الأجناس الشعرية العربية الأخرى، مثل الزجل والموشح. فالزجل، الذي ازدهر في الأندلس، يتميز بقوالب عروضية مخصصة وبالاغتماد على لغة وسيطة بين الفصحى والعامية. أما الموشح، فله بنية تركيبية

خاصة من حيث الأدوار والأقفال والأغصان، وهو أقرب إلى الغناء الراقي. ومع أنّ الشعر الشعبي الجزائري تأثر بهما، إلا أنه احتفظ بخصوصياته اللغوية والإيقاعية المرتبطة بالمجتمع الجزائري⁽¹⁰⁾.

وعليه، فإنّ الإطار المفاهيمي للشعر الشعبي الجزائري يقوم على فكرة الجمع بين التلقائية والبساطة من جهة، والعمق الفني والاجتماعي من جهة أخرى. وهو ما يجعل المصطلح "الشعر الشعبي" أكثر تعبيراً عن هذا النتاج الأدبي المتجذّر في حياة الناس.

ثانياً: الجذور التاريخية والثقافية للشعر الشعبي الجزائري

إنّ الشعر الشعبي الجزائري ليس ظاهرة معزولة، بل هو ثمرة لتفاعلات تاريخية وثقافية عميقة شكّلت ملامحه وأغنت معجمه وصياغاته الإيقاعية. ولعلّ فهم هذه الجذور يساعد على استيعاب تنوعه وغناه، كما يوضح أسباب استمراريته وانتشاره.

1. التأثير العربي-الهلالي

شهدت الجزائر منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) موجات هجرة كبرى للقبائل الهلالية التي جاءت من شبه الجزيرة العربية. وقد جلبت هذه القبائل معها لهجاتها وأساليبها التعبيرية التي اندمجت مع اللهجات المحلية، فساهمت في تكوين البنية اللغوية للشعر الشعبي الجزائري. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ الكثير من المفردات والإيقاعات في الشعر الشعبي تعود إلى هذا الأصل الهلالي، حيث طغت الروح البدوية على عدد من موضوعاته، خاصة في الغزل والفخر والحماسة⁽¹¹⁾. وهذا ما نلمسه في بعض القصائد الشعبية المنتشرة في المناطق الصحراوية.

2. التأثير الأندلسي

إلى جانب العنصر الهلالي، لعبت التجربة الأندلسية دوراً مهماً في تشكيل الشعر الشعبي الجزائري، خصوصاً بعد سقوط الأندلس ونزوح الكثير من الأندلسيين إلى شمال إفريقيا. فقد حمل هؤلاء معهم تراث الموشحات والأزجال، وهو ما أضفى على الشعر الشعبي الجزائري أبعاداً إيقاعية وجمالية جديدة. ويتجلى هذا التأثير في استعمال البحور القصيرة والمتنوعة، وفي إدخال بعض القوافي المركبة والتراكيب الممزوجة بين الفصحح والعامي⁽¹²⁾. كما أنّ فنون الغناء الأندلسي (المالوف والغرناطي) ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالملحون الجزائري، حيث كانت النصوص الشعبية تُغنى على أنغام موسيقى ذات أصول أندلسية⁽¹³⁾.

3. التفاعل مع التراث الأمازيغي

لا يمكن فهم الشعر الشعبي الجزائري بمعزل عن البعد الأمازيغي، باعتباره مكوناً أصيلاً من الهوية الثقافية للمنطقة. فقد أسهمت اللغات الأمازيغية (القبائلية، الشاوية، الميزابية...) في إغناء المعجم الشعري الجزائري بالكثير من المفردات، كما انعكس التداخل والتلاقح الثقافي على الصور البلاغية والرموز المستعملة. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ حضور الطبيعة والرموز الزراعية والرعية في الشعر الشعبي الجزائري يعود بدرجة كبيرة إلى الإرث الأمازيغي⁽¹⁴⁾ الذي اتسم بالإيقاع الجماعي والرموز المستمدة من الطبيعة.

4. التأثير العثماني

خلال العهد العثماني (القرنين 16-19م) تأثر الشعر الشعبي الجزائري بالمناف السياسي والاجتماعي الجديد، حيث ظهر نوع من المزج بين الفصحى والعامية التركية، خاصة في المديح الديني والأناشيد التي كانت تُتلى في الزوايا. كما أثر النظام الاجتماعي العثماني في موضوعات الشعر الشعبي، فبرزت قصائد المدح في الأعيان والولاة، وأخرى في الرثاء والتعبير عن المحن⁽¹⁵⁾. ما أسهم في إثراء الجانب الموسيقي والإيقاعي للشعر الشعبي الجزائري⁽¹⁶⁾.

5. فترة الاستعمار الفرنسي

أما في العهد الاستعماري الفرنسي (1830-1962)، فقد تحول الشعر الشعبي إلى أداة مقاومة وتعبئة، حيث عبّر عن معاناة الشعب تحت الاحتلال، وعن نضاله من أجل الحرية. وانتشرت الأشعار التي تُندد بالاستعمار وتُخلّد البطولات الشعبية، مثل أشعار بن قيطون في منطقة وهران، وأشعار الشيخ قدور العلمي وغيرهما⁽¹⁷⁾. ومن هنا اكتسب الشعر الشعبي وظيفة مزدوجة: جمالية وفكرية، واجتماعية وسياسية.

يمكن القول إنّ الشعر الشعبي الجزائري نتاج تلاقح ثقافي متعدد: عربي بدوي (هلاّلي)، أندلسي، أمازيغي، عثماني، ثم وطني مقاوم. وهذا التعدد هو ما منحه ثراءً لغويًا وإيقاعيًا جعله مختلفًا عن باقي أشكال الشعر الشعبي العربي.

ثالثاً: الخصائص الفنية والجمالية للشعر الشعبي الجزائري

يتميّز الشعر الشعبي الجزائري بخصائص لغوية وفنية وجمالية تجعله قريباً من الناس، ومع ذلك يحافظ على عمق فني وجمالي يجعله قادراً على المنافسة والإبداع. وهذه الخصائص يمكن تصنيفها في ثلاثة مستويات رئيسية: اللغة، الإيقاع، والموضوعات والصور.

1. الخصائص اللغوية

أبرز ما يميز الشعر الشعبي الجزائري اعتماده على اللهجات المحلية، مع وجود مساحات واسعة من التداخل مع اللغة الفصحى. فالشاعر الشعبي قد يستعمل تراكيب عامية بسيطة، لكنه في كثير من الأحيان يطعمها بألفاظ فصيحة، أو يقتبس عبارات قرآنية وأحاديث نبوية، خاصة في أشعار المديح الديني⁽¹⁸⁾.

كما أن هذا الشعر يتسم بمرونة في التراكيب تسمح له بالتعبير عن مختلف القضايا اليومية والاجتماعية، وهو ما يجعله قريباً من عامة الناس. وفي بعض الأحيان، نجد نصوصاً شعبية مكتوبة بلهجة قريبة جداً من الفصحى، مما يُصعب التمييز بينها وبين الشعر الفصيح⁽¹⁹⁾.

عند المزج بين الفصحى والدارجة في الشعر الشعبي الجزائري، قد يتضمن ألفاظاً أمازيغية أو تركية أو أندلسية. هذه السهولة اللغوية هي عنصر القوة. لأنها تتيح للشاعر أن يعبر بلسان قريب من الناس دون أن يفقد البعد الجمالي.

2. الخصائص الإيقاعية

يستند الشعر الشعبي الجزائري إلى أوزان عروضية مرنة، بعضها قريب من البحور الخليلية، وبعضها الآخر مطوّع بما يناسب الأداء الشفوي والغنائي. ومن أكثر القوالب انتشاراً:

القصيدة: وهو نص طويل متعدد الأبيات، قريب من بنية القصيدة الفصحى، ويُستعمل في المديح والثناء.

الملحون: وهو نص موزون ومقفى غالباً يُغنى في الأعراس والاحتفالات.

الأهازيج الشعبية: التي تقوم على التكرار والإيقاع السريع، وتُستعمل في المناسبات الجماعية كالزفاف والحصاد.

كما أن الأداء الشفوي يضيف بُعداً إيقاعياً مميزاً، إذ يقوم الراوي أو المنشد بتطويع النص وفق لحن موسيقي يضاعف تأثيره في المتلقي⁽²⁰⁾.

3. الخصائص الموضوعية

يتناول الشعر الشعبي الجزائري موضوعات متنوّعة، يمكن تصنيفها في ثلاثة محاور كبرى:

*-الموضوعات الغنائية والعاطفية: مثل الغزل، الشوق، وصف الجمال، وهي موضوعات تعكس عاطفة الفرد وتجاربه الوجدانية.

*-الموضوعات الاجتماعية: مثل المدح والهجاء والحكم والأمثال الشعرية، التي تعبّر عن قيم الجماعة وتقاليدها.

*-الموضوعات الوطنية والسياسية: خاصة في فترة الاستعمار الفرنسي، حيث تحوّل الشعر الشعبي إلى منبر للمقاومة والدفاع عن الوطن، كما عبّر عن أحلام التحرر والكرامة⁽²¹⁾.

4. الصور الفنية والرموز

رغم بساطة اللغة، يتضمن الشعر الشعبي الجزائري صوراً فنية غنية، تقوم على التشبيه والاستعارة والكناية. وتكثر فيه الرموز المستمدة من البيئة الطبيعية، مثل: النخلة، الخيل، البحر، الصحراء. وهذه الرموز ليست مجرد عناصر وصفية، بل هي دلالات ثقافية واجتماعية تعبّر عن قيم مثل الكرم والشجاعة والحرية⁽²²⁾.

5. الأداء الشفوي ودوره

لا يمكن فصل الشعر الشعبي الجزائري عن طريقة أدائه، إذ يعتمد في الغالب على الرواية الشفوية التي تمنحه حيوية وتجعل منه فناً متجدداً. فالراوي أو المنشد قد يغيّر في بعض الألفاظ أو القوافي بحسب السياق، مما يجعل النص الشعري قابلاً للتطور عبر الزمن. كما أن التلقي الجماعي يمنحه بعداً احتفالياً، حيث يُردّد الجمهور بعض المقاطع، فيتحوّل النص إلى فعل جماعي يُرسّخ الذاكرة الشعبية⁽²³⁾ لكن في الوقت نفسه هذا الطابع الشفوي عرضه للتحريف والضياع.

يمكن القول إنّ الشعر الشعبي الجزائري يتميز بخصائص تجعل منه فناً جامعاً بين البساطة والعمق: لغة محلية مرنة، إيقاع موسيقي متنوع، موضوعات تعكس وجدان الفرد والجماعة، صور ورموز متجذرة في البيئة، وأداء شفوي يضمن استمراريته وانتشاره. وهذه العناصر مجتمعة تُكسبه قوة حضوره في الذاكرة الثقافية للشعب الجزائري.

رابعاً: دراسة نماذج مختارة من نصوص شعرية شعبية جزائرية

1. نموذج من شعر الملحون التقليدي (الغزل والمديح).

الشعر الملحون من أبرز الأشكال الشعرية الشعبية في الجزائر، خصوصاً في مناطق الغرب والوسط. ومن أشهر مواضيعه الغزل والمديح، ويُعتبر سيدي لخضر بن خلوف (1520-1605م) من أبرز رواد شعر الملحون في الجزائر. وله قصائد كثيرة في المديح والغزل، من بينها قوله:

يا غزالي فيك العقل تاه

جمالك سحرني والروح راه معاك

التحليل:

البنية اللغوية: اعتمد الشاعر على مفردات بسيطة (غزالي، جمالك، الروح) قريبة من الفصحى، لكنها في قالب دارج يسهل تداوله.

الإيقاع: يقوم البيت على توازن موسيقي داخلي، يعتمد على التكرار (غزالي/جمالك/روحك).
الرمزية: الغزال رمز للجمال والرقّة، وهو من الرموز الكلاسيكية التي استعارها الشعر الشعبي من الشعر الفصيح.

الوظيفة: النص هنا يُعبر عن تجربة وجدانية فردية، لكنه يُؤدى جماعياً في المناسبات، مما يحوّله إلى تجربة مشتركة⁽²⁴⁾.

إنّ هذه النماذج تظهر كيف أنّ شعر الملحون كان يُعبّر عن وجدان الفرد، لكنه في الوقت نفسه يحظى بتداول جماعي من خلال الغناء في الأعراس والمناسبات.

2. نموذج من الأشعار الدينية والمدائح النبوية

إلى جانب الغزل، ازدهر الشعر الشعبي الجزائري في المديح النبوي. ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

صلّوا على خير الأنام طه

شفيعنا يوم الزحام

التحليل:

اللغة: يغلب عليها الطابع الفصيح الممزوج بالعامية.

البنية الشعرية: يقوم النص على التكرار (صلّوا/شفيّعنا) وهو عنصر أساس في الإنشاد الجماعي داخل الزوايا.

الوظيفة: النصوص الدينية لم تكن مجرد أشعار، بل كانت أداة للتربية الروحية، إذ تُنشد في المناسبات الدينية والاحتفالات بالمولد النبوي.

التأثير الأندلسي: يظهر في الإيقاع القريب من الموشحات والزجل، وفي الطابع الغنائي للنصوص⁽²⁵⁾.

3. نموذج من الشعر الشعبي المقاوم للاستعمار الفرنسي

خلال فترة الاستعمار الفرنسي (1830-1962)، تحوّل الشعر الشعبي إلى سلاح ثقافي لمقاومة المحتل. ومن أبرز الأمثلة قصائد الشيخ قدور العلمي التي عبّر فيها عن رفضه للظلم. يقول في أحد نصوصه:

يا فرنسا يا بنت الذل والعار
ظلامك ما يطول والنهاريبان

التحليل:

الخطاب المباشر: مخاطبة فرنسا بشكل شخصي (يا فرنسا) يعطي النص بعداً سياسياً مباشراً.

الصور الشعرية: الليل/الظلام رمز للاستعمار، النهار رمز للتححر.

الإيقاع: قصير، حاد، يعكس نبرة الغضب والتحدي.

الوظيفة الاجتماعية: كان النص يتداول في الأسواق والقرى لتحفيز الناس على الصمود، أي أنّه مارس دور الإعلام المقاوم في غياب الصحافة الحرة⁽²⁶⁾.

إنّ مثل هذه الأشعار لم تكن تُلقى للترف أو التسلية، بل كانت بمثابة "جرس إنذار" يُحفّز الجماهير على التمسك بالحرية.

4. نموذج من الشعر الشعبي الثوري خلال الثورة الجزائرية

أثناء ثورة التحرير (1954-1962)، برزت أشعار شعبية حماسية. يقول أحد الشعراء المجهولين:

يا مجاهد زيد قدّام
خلي الرصاص يجاوب الكلام

التحليل:

اللغة: عامية مباشرة، تخاطب المجاهد بضمير الأمر (زيد قدام).
 البنية الإيقاعية: قصيرة، أشبه بالهتاف، مما يسهل ترديدها في الجبال والمعارك.
 الرمزية: الرصاص رمز الفعل الثوري، والكلام رمز الشعارات، والجمع بينهما يوحد القول والعمل.

الوظيفة: تعزيز معنويات المجاهدين، وبثّ روح التضحية⁽²⁷⁾.

5. نموذج من الشعر الشعبي الاجتماعي المعاصر

في المرحلة المعاصرة، ظلّ الشعر الشعبي حاضراً، لكنه تحوّل إلى التعبير عن التحولات الاجتماعية. ومن أبرز الأسماء الشيخ عطا الله (منطقة بسكرة) الذي تناول في قصائده قضايا الشباب والبطالة والهجرة. يقول في إحدى قصائده:

يا زمان وينك وينا

خذيت الفرحة وخليت المحنة

التحليل:

الموضوع: النص يُعبر عن الحنين إلى الماضي والشكوى من الحاضر.
 البنية العاطفية: خطاب موجّه إلى "الزمن"، مما يضفي على النص بعداً فلسفياً.
 الإيقاع: تكرار (وينك/خذيت/خليت) يُعطي للنص موسيقاه الخاصة.
 الوظيفة الاجتماعية: التعبير عن خيبة أمل جيل الشباب في مواجهة الواقع المرير (البطالة، الهجرة، غياب الأمل)⁽²⁸⁾.

6. نموذج من الشعر النسوي الشعبي (أغاني الأعراس)

في حفلات الأعراس الجزائرية، تؤدي النساء أشعاراً شعبية مثل:

يا عريس الليلة مبروك عليك

زينه دارك ربي يهنيك

التحليل:

اللغة: دارجة بسيطة، مباشرة، ذات طابع احتفالي.
 الإيقاع: يقوم على التكرار والوزن السريع المناسب للغناء.

الوظيفة: اجتماعية بامتياز، فهي وسيلة للتعبير عن الفرح الجماعي ولتثبيت قيم التضامن العائلي.

الدلالة الثقافية: هذه الأشعار تكشف عن دور المرأة في الحفاظ على التراث الشفوي ونقله للأجيال⁽²⁹⁾.

7. نموذج من الشعر الشعبي الساخر

عرفت بعض المناطق الجزائرية أشعاراً ساخرة تُنتقد فيها الأوضاع الاجتماعية أو شخصيات معينة. مثل قوله:

يا اللي تلبس كرافاطا والكروش طالعة شبرين
تحسب روحك في فرنسا وانت ما شفت البحروين
التحليل:

الموضوع: نقد التناقض بين المظهر والجوهر.

اللغة: دارجة محلية بسيطة.

الوظيفة: النص هنا وسيلة للتقويم الاجتماعي عبر السخرية، وهي وظيفة متجذرة في الأدب الشعبي.

القيمة الفنية: توظيف المفارقة لإحداث أثر نقدي⁽³⁰⁾.

من خلال هذه النماذج، يتضح أن:

- ✓ الشعر الملحون التقليدي ركّز على العاطفة الفردية (الحب، الغزل، المديح).
- ✓ الشعر الشعبي المقاوم ركّز على الوجدان الجماعي، وحوّل النص الشعري إلى أداة نضال.
- ✓ الشعر الشعبي المعاصر يعكس القضايا الاجتماعية الراهنة (البطالة، الهجرة، الغربة).

وبهذا، فإن الشعر الشعبي الجزائري لم يبقَ ثابتاً، بل تطوّر تبعاً للتحوّلات التاريخية والاجتماعية، محافظاً في الوقت ذاته على خصائصه اللغوية والإيقاعية.

✓ تطوّر من الغزل والمديح إلى التحريض والمقاومة، ثم إلى التعبير عن القضايا الاجتماعية المعاصرة.

- ✓ جمع بين الوظائف الجمالية (الإيقاع، الصور، الرموز) والوظائف الاجتماعية والسياسية (التعبئة، النقد، الاحتفال).
- ✓ تميز بمرونة تسمح له بمواكبة كل عصر، مع المحافظة على هويته الأصيلة المتجذرة في وجدان الشعب.

*-خاتمة

إنّ الشعر الشعبي الجزائري يمثل رافداً حياً من روافد الثقافة الوطنية، بما يحمله من أبعاد جمالية واجتماعية وتاريخية. فمن خلال تتبّع مساره عبر العصور، تبين أنه لم يكن مجرد وسيلة للتسلية أو الترفيه، بل شكّل في أحيان كثيرة أداة للتربية والتوجيه، ومنبراً للنقد والاحتجاج، ووسيلة للحفاظ على الهوية والذاكرة الجماعية.

لقد أظهر الجزء النظري أن قضية المصطلح بين "الشعبي"، "العامي"، و"الملحون" لا تتعلق بمجرد ألفاظ متداولة، بل تعبّر عن زوايا نظر متباينة:

- ✓ ف"الشعبي" هو الأشمل، لما يعكسه من انتماء للناس وارتباط بهم.
- ✓ أما "العامي" فيحصر المسألة في البعد اللغوي، أي الخروج عن الفصحى.
- ✓ في حين يقتصر "الملحون" بالجانب الفني والغنائي، أو بالخروج عن الإعراب.

أما الجزء التطبيقي، فقد كشف من خلال النماذج الشعرية المختلفة (الغزل، المديح، المقاومة، الثورة، الشعر النسوي، الأشعار الساخرة...) عن ثراء هذا التراث وقدرته على التكيف مع مختلف الأوضاع والتحوّلات. فقد كان الشعر الشعبي الجزائري في آن واحد سجلاً للتجارب الفردية والجماعية، ومرآة للتغيّرات الاجتماعية والسياسية، وفضاءً فنيّاً للتعبير والإبداع.

وبناءً على ما سبق، يمكن القول إن المصطلح الأدق هو "الشعر الشعبي"، لما يحمله من شمولية وقدرة على استيعاب الأبعاد المتعددة لهذا الفن، لغةً وأداءً ووظيفة. وهو اختيار ينسجم مع كونه تراثاً جامعاً، ينهل من الفصحح والعامي، ويزاوج بين الفردي والجماعي، وبين الماضي والحاضر.

إنّ الحفاظ على الشعر الشعبي الجزائري، توثيقاً ودراسةً ونشرًا، ضرورة ثقافية ملحة في ظل التغيرات المتسارعة، حتى يظل هذا التراث شاهداً على أصالة المجتمع، ومصدر إلهام للأجيال القادمة.

*- الهوامش والإحالات:

- ¹ عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 15.
- ² أحمد الطيب العلي، مدخل إلى الشعر الشعبي المغربي، منشورات وزارة الثقافة المغربية، الرباط، 1983، ص. 42.
- ³ محمد الأخضر السائحي، الأدب الشعبي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص. 67.
- ⁴ عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 23.
- ⁵ عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ص 31.
- ⁶ صلاح الدين الهواري، الأدب الشعبي العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 54.
- ⁷ راجح مزبان، الشعر الشعبي الجزائري بين الفصحى والعامي، منشورات كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2011، ص 42.
- ⁸ محمد الفاسي، الملحون المغربي: دراسات في الشعر العامي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986، ص 18.
- ⁹ عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 22.
- ¹⁰ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص 203.
- ¹¹ عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ص 45.
- ¹² إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، ص 211.
- ¹³ محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت، 1985، ص 67.
- ¹⁴ عبد الله حمادي، الأدب الأمازيغي والشعر الشعبي الجزائري، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007، ص. 92.
- ¹⁵ محمد الأخضر السائحي، الأدب الشعبي في الجزائر، ص 118.
- ¹⁶ عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الجزائر، 1980، ص 210.
- ¹⁷ عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، ص 144.
- ¹⁸ عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ص. 67.

- 19 عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، ص 83.
- 20 محمد الأخضر السائحي، الأدب الشعبي في الجزائر، ص 133.
- 21 عبد الله حمادي، الأدب الأمازيغي والشعر الشعبي الجزائري، ص 144.
- 22 أحمد الطيب العلي، مدخل إلى الشعر الشعبي المغربي، ص 59.
- 23 محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ص 112.
- 24 عبد القادر بن غانم، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، دار القصبة، الجزائر، 2002، ص 55.
- 25 محمد الأخضر السائحي، الأدب الشعبي في الجزائر، ص 162.
- 26 عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، ص 207.
- 27 عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ص 188.
- 28 عبد الله حمادي، الأدب الأمازيغي والشعر الشعبي الجزائري، ص 203.
- 29 فوزية بن عمارة، الأغنية النسوية الشعبية الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2010، ص 71.
- 30 أحمد الطيب العلي، مدخل إلى الشعر الشعبي المغربي، ص 84.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، 1983.
2. أحمد الطيب العلي، مدخل إلى الشعر الشعبي المغربي، منشورات وزارة الثقافة المغربية، الرباط، 1983.
3. رابح مزيان، الشعر الشعبي الجزائري بين الفصيح والعامي، منشورات كلية الآداب، جامعة الجزائر، 2011.
4. صلاح الدين الهواري، الأدب الشعبي العربي، دار المعارف، القاهرة، 1995.
5. عبد الحميد بورايو، الشعر الشعبي الجزائري: دراسة في الأصول والخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001.
6. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الجزائر، 1980.
7. عبد القادر بن غانم، ديوان سيدي لخضر بن خلوف، دار القصبة، الجزائر، 2002.

8. عبد الله حمادي، الأدب الأمازيغي والشعر الشعبي الجزائري، منشورات وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2007.
9. عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
10. عبد الملك مرتاض، الشعر الشعبي الجزائري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
11. فوزية بن عمارة، الأغنية النسوية الشعبية الجزائرية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2010.
12. محمد الأخضر السائحي، الأدب الشعبي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
13. محمد الفاسي، الملحون المغربي: دراسات في الشعر العامي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1986.
14. محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، دار العودة، بيروت، 1985.